

الاستعارة العربية والإنجليزية: دراسة تقابلية

د. روضة أحمد ميكاسو

قسم الدراسات العربية،

جامعة ولاية نَصْرَاوَا، كَيْفِي، نيجيريا

د. إسحاق صالح سليمان

قسم الدراسات العربية،

جامعة ولاية نَصْرَاوَا، كَيْفِي، نيجيريا

المستخلص

يتناول هذا البحث إحدى قضايا المجتمع الإنساني العالمي، وتلك هي قضية الاستعارة التي تجري على ألسنة الشعوب، وتحديداً في اللغتين العربية والإنجليزية. وهذه الدراسة في مجملها دراسة تقابلية بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية؛ حيث عرضت الاستعارات العربية: مفهومها، أركانها، وأقسامها؛ كما عرضت الاستعارات الإنجليزية: مفهومها، أركانها، وأقسامها؛ ووجدت توافقا وتماثلاً للاستعارات في اللغتين العربية والإنجليزية. كما أن هذا البحث انتهج المنهج التقابلي الوصفي التحليلي في إجراء هذه الدراسة؛ لأنه أحدث المناهج في علم اللسانيات، حيث يقابل لغتين فصيلتين مختلفتين كالعربية والإنجليزية التي هي محور البحث الراهن. وخلص البحث إلى أن التعبير الاستعاري في اللغتين العربية والإنجليزية يزخر بالمجاز عموماً وبالاستعارة خصوصاً، والفارق بينهما هو كميّات تصنيفها وتقسيمها؛ كما أن لكل من اللغتين العربية والإنجليزية ثقافة تضرب في عمق المجتمع، ولكل لغة منهما عبقرياتها وخصوصياتها اللسانية والثقافية.

الكلمة المفتاحية: الاستعارة، المنهج التقابلي، المجاز، النشاط الفكري، المفاهيم.

المقدمة

شغلت الاستعارة أذهان المفكرين على اختلاف مشاربهم وعصورهم، فتنوّعت المقاربات على حدٍ بعيدٍ. وبعدَ مبحث الاستعارة من المباحث البلاغية الثرة والغنية في تراث الأمم المختلفة. وقد لاقى اهتماماً كبيراً من القدماء ولا يزال يحتل مكانة رفيعة في دراسات المحدثين. وقد ارتبط ميدان تعليم اللغات لغير أبنائها بالاتجاه التقابلي منذ أن بدأت اللسانيات التطبيقية الحديثة، وأعطت نتائج مرضية في تمكين الطلاب من تحلي الصعوبات والمشكلات التي يواجهونها أثناء الدراسة؛ نتيجة لاختلاف نظام لغتهم واللغة التي يريدون تعلمها. وأما المنهج التقابلي فيُحقق تعليم اللغات الحديثة، فهو يقابل لغتين من فصيلتين مختلفتين كالعربية والإنجليزية، فهو يركز على أوجه التشابه والاختلاف بين اللغات؛ بغرض تعليمي، وهو التنبؤ بالمشكلات والأخطاء التي يحتمل أن يقع فيها المتعلم نتيجة لاختلاف نظام اللغتين؛ أو التنبؤ بالتماثل والتوافق الذي يظهر بينهما.

ويشتمل هذا البحث على أربعة مباحث، هي ما يلي: المبحث الأول: تعريف الاستعارة العربية والإنجليزية، والمبحث الثاني: أركان الاستعارة العربية وأنواعها، والمبحث الثالث: أركان الاستعارة الإنجليزية، والمبحث الرابع: أقسام الاستعارة الإنجليزية.

المبحث الأول: تعريف الاستعارة العربية والإنجليزية

الاستعارة لغة

الاستعارة مصدر الفعل (استعار)، وجذرها اللغوي (ع و ر). وإنه من المعلوم أن حرفي (السين والتاء) في الفعل (استعار) زيادة على أصل الفعل (عار)، وهذه الزيادة تفيد طلب العارة؛ "والعارية والعارية: ما تداولوه بينهم؛ وقد أعاره الشيء وأعاره منه، وعاوره إياه، والمعاورة والتعاور شبه المداولة والتداول في

الشيء يكون في اثنين؛ وتعبّره، واستعاره الشيء، واستعاره منه: طلب منه أن يُعبّره منه؛ ويقال: استعرتُ منه عارية فأعارتها؛ واستعار منه ثوباً فأعاره إياه: أي طلب منه العارية¹.

الاستعارة اصطلاحاً:

- تعريف الاستعارة اصطلاحاً لدى الأدباء القدماء

يختلف تعريف الاستعارة اصطلاحاً عند القدماء من بلاغيٍّ إلى آخر؛ فهي عند علي بن محمد الجرجاني: "ادّعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين، كقولك: (لقيت أسداً)، وأنت تعني به الرجل الشجاع"²؛ ويوافقه الرأي في ذلك الفخر الرازي ويجاربه في فكرة المبالغة في التشبيه، فقال: "الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره، وإثبات ما لغيره له؛ لأجل المبالغة في التشبيه"³؛ ويعرّفها الجاحظ بأنها: "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"⁴؛ وعند ثعلب هي: "أن يستعير للشيء اسم غيره أو معنى سواه"⁵؛ وعند العلوي هي: "تصييرك الشيء للشيء وليس به، وجعلك الشيء للشيء وليس له، بحيث لا يلحظ فيه معنى التشبيه صورة ولا حكماً"⁶.

ونظرةً متأنيةً في هذه التعريفات تكشف عن أنّ تعريف الجرجاني والفخر الرازي يتفقان في أنّ الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره للمبالغة في التشبيه، حيث أصبحت الاستعارة أخصّ وأدلّ دون أن تحتوي على أنواع المجاز الأخرى؛ وبينما يجد الباحثان تعريف الجاحظ وثلث هذين أقرب إلى اللغة منهما إلى الاصطلاح، حيث يشملان كل مجاز في اللغة؛ لأنّ أيّ مجاز يكون بتسمية شيء بغير اسمه عادةً؛ وأما تعريف العلوي فله الفضل على سائر تعريفاتها، حيث تجد وجوب ابتعاد الاستعارة عن التشبيه سواء المصحوب بالأداة أو التشبيه المضمّر الأداة. وخلاصة القول، فيُلحظ في جميع التعريفات أنها تركّز على فكرة المبالغة في التشبيه وتسمية الشيء باسم غيره.

- تعريف الاستعارة اصطلاحاً لدى الأدباء المحدثين

عرّف المحدثون عن تعريف القدماء للاستعارة بعض الشيء. ويعرّفها رثيف خوري بأنها: "هي أصلاً تشبيه حذف جميع أركانه إلا المشبه أو المشبه به، وألحقت به قرينة تدلّ على أنّ المقصود هو المعنى المستعار لا الحقيقي"⁷؛ ويعرّفها الجارم وأمين بأنها: "هي تشبيه حذف أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائماً"⁸؛ ويرأها الخفاجي وعبد العزيز أنها: "نوع من التشبيه حذف فيه الأداة والوجه وأحد الطرفين"⁹. والنظرة إلى هذه التعريفات تكشف عن أنّ التشبيه لا يزال في أروافها تقترب منه، وأنّها هي لفظ مستعمل في غير ما وُضع له، لعلاقة المشابهة بين المستعار والمستعار له، مع ذكر قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

وأما بعض المحدثين فتناولوها من منظور آخر، ومنهم الجويني من حيث يقول: "الاستعارة من الجانب النفسي استبدال صورة أو معنى أو موقف محل آخر"¹⁰. فالجويني يدرسها من جانب نفسي وما تحدّثه من أثر في المتلقي أكثر من دراسته لبعدها اللغوي أو البلاغي. وهذا رجاء عيد يوضح هذه الفكرة في قوله: "ولو تعد الاستعارة زركشة زخرفيّة أو حلية فنية، وإنما نشاط فكري ينظم التجربة بواسطة خيال ذووب يعمل على إعادة تشكيل جزئيات الواقع حيث تذوب عناصرها لتتخلق في ميلاد جديد تنضج من خلاله الرؤية الفنيّة الخاصة للأشياء والمعاناة الانفعاليّة لصاحبها"¹¹.

فالاستعارة عندهم نشاط فكري يصاحبه خيال نشيط مرهف يسكب الواقع في قوالب جديدة غير معتادة، ويعطيه بذلك نفساً جديداً. والملاحظ في معظم تعريفاتها، قديمها وحديثها، هو أنّ التشبيه يعتمد أساساً وأصلاً للاستعارة وتلحقها به مع جعلها أرقى منه رتبة؛ نظراً إلى قول العلوي: "فكلما ازداد التشبيه خفاءً ازدادت الاستعارة حسناً ورشاقةً، وكلّما ظهر معنى التشبيه تعفّت آثار الاستعارة، وامحت رسومها وأعلامها"¹².

المبحث الثاني: أركان الاستعارة العربيّة وأنواعها

- أركان الاستعارة العربيّة

وضع البلاغيون للاستعارة أركاناً أربعة، هي: المستعار منه، وهو بمنزلة المشبه به، والمستعار له، وهو بمنزلة المشبه، وهذان يُسميان طرفي الاستعارة، والمستعار، وهو اللفظ المستعمل استعارياً، والمستعار به أو الجامع، وهو بمنزلة وجه الشبه. ومثاله: "لقيتُ أسداً"، فالأسد (الحيوان) هو المستعار منه، و(الرجل الشجاع) هو المستعار له، و(أسداً) هو المستعار، و(الشجاعة) هو المستعار به أو الجامع¹³.

- أنواع الاستعارة العربية

تعاقَبَ البلاغيون على مَرَّ العصور على دراسة الاستعارة، ووصفوها بالحسن والقبح؛ وذهب كل واحد منهم ينظر إليها من منظور معيّن، فوضعوا لها أقساماً متعددة؛ فهي باعتبار ذاتها على ما يأتي¹⁴:

1 – الاستعارة التحقيقية، أو الحقيقية، أو المحققة، أو العقلية

هي التي يُذكر فيها اللفظ المستعار مطلقاً، ويُثبت فيها أمر مختصّ بالمستعار له، ويتحقّق معناها حسّاً أو عقلاً، ومثالها: "رأيتُ أسداً يشك العدوّ بسلاحه"، حيث شُبهَ الرجل الشجاع بالأسد، وتُثبت له أمراً مختصّاً بالمستعار له، هو (الفارس المغوار)، فقيل: "يشك العدوّ بسلاحه" وهو يختصّ بالفارس المغوار، ويتحقّق هذا المعنى حسّاً وعقلاً؛ لأنه يمكن أن يُرى فارس مغوار مثل الأسد في الشجاعة يشك العدوّ بسلاحه في ساحة الحرب.

2 – الاستعارة التخيلية، أو الخيالية، أو الوهميّة

وهي التي على عكس الاستعارة التحقيقية، ويُذكر فيها اللفظ المستعار، ويُثبت فيها أمر مختصّ بالمستعار منه، وهي التي لا يتحقّق معناها حسّاً ولا عقلاً، بل في صورة وهميّة محضة، ومثالها: "رأيتُ أسداً دامي الأنياب وافر البرائن"، فقد استعير للرجل الشجاع لفظة (أسد)، وأثبت له أمراً مختصّاً بالمستعار منه، وهو (الأسد)، حيث قيل: "دامي الأنياب، وافر البرائن"؛ إذ لا يمكن لأيّ إنسان أن يكون دامي الأنياب وافر البرائن؛ فهو معنى لا يتحقّق حسّاً ولا عقلاً، بل هو زيادة في التخيل والوهم.

3 – الاستعارة التصريحية، أو المصرّحة

وهي التي يُصرّح فيها بلفظ المستعار منه، ومثاله: "رأيتُ البحرَ يمشي نحوّي"، فقد شُبهَ الرجل بالبحر، وهو المستعار منه، لكثرة جوده وعطائه، وُذكر مع ذلك قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وهي (يمشي)؛ لأنّ البحر لا يمشي.

4 – الاستعارة المكنية، أو بالكناية

وهي التي على عكس الاستعارة التصريحية، فيحذف فيها المستعار منه، ويرمز له بشيء من لوازمه، ومثالها: "إني لأرى رءوساً قد أُنِعتْ وحن قُطافُها وإنّي لصاحبُها"، فالمستعار منه محذوف، وهو (الثمرات)، واللفطتان: "أُنِعتْ وقُطافُها" هما من لوازم المستعار منه. وتقدير الكلام: إني لأرى رؤوساً قد أُنِعت كالثمرات.

5 – الاستعارة الوفاقية

وهي التي يكون فيها اجتماع المستعار منه والمستعار له في الشيء ممكنًا، كقوله تعالى: (أَوَمَنْ كَانَ مِيتًا فَآخِيزًا) [الأنعام: 122]، فمعنى: "ميتاً" أي ضالاً، ومعنى: "آخِيزاً" أي: هديناه، فالمستعار منه هو (الحياة)، والمستعار له هو (الهداية)، وهنا إمكان اجتماع الهداية والحياة، فهو غير متنافرين.

6 – الاستعارة العنادية

وهي على عكس الاستعارة الوفاقية، حيث يكون فيها اجتماع المستعار منه والمستعار له في الشيء ممتنعاً، كقولك: "هذا رجل ميّت يمشي على الأرض"، وتعني بذلك "الحي الجاهل"، فالمستعار منه هو (الموت)، والمستعار له هو (الرجل الجاهل)، وهنا امتناع (الحياة) و(الموت)، فهما متنافران يمتنع وجود أحدهما لوجود الآخر.

7- الاستعارة العامية

ولها تفسيران. فالتفسير الأول هو أن يكون الجامع فيها داخلاً في مفهوم المستعار منه والمستعار له، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله، كلما سمع هيعاً طار إليها". و"الهيع" هو الصوت تفزع منه وتخاف من عدو. فالمستعار منه هو (الطيران) والمستعار له هو (العدو)، والجامع بينهما هو "مفهوم قطع المسافة بسرعة". أما التفسير الثاني فهو أن تكون هذه الاستعارة مبتدلة لظهور الجامع فيها، مثل: "رأيت أسداً". فقد شبه "الفارس المغوار" بـ(الأسد)، والجامع بينهما ظاهر، دون إمعان النظر، وهو (الشجاعة).

8 – الاستعارة الخاصة

وهي عكس الاستعارة العامية. ولها تفسيران أيضاً: الأول أن يكون الجامع في هذه الاستعارة غير داخل في مفهوم المستعار منه والمستعار له، مثل: "رأيت شمساً"، أي: رأيت إنساناً يلاً وجهه كالشمس. فالمستعار منه هو (الشمس)، والمستعار له هو (الإنسان ذو الوجه المشرق)، والجامع بينهما (التألق)، وهو غير داخل في مفهوم الطرفين؛ لأن الشمس بالفعل تتألقاً ووجه الإنسان لا. أما التفسير الثاني فهو أن تكون هذه الاستعارة غريبة لطيفة، ذات سبك جيد ولا يرتقي إليها العوام، بل تظفر بها الخاصة، مثل قوله تعالى: (وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) [مريم: 4]. فالمستعار منه هو (النار)، والمستعار له هو (الشيب)، والمستعار هو لفظة (اشتعل)، وهو من لوازم النار، والجامع بينهما هو (الالتهاب وسرعة الانتشار).

9 – استعارة محسوس بمحسوس

وهذا القسم من الاستعارة والأقسام الثلاثة التالية تندرج تحت أي قسم من الأقسام الأخرى. وهو أن تستعير شيئاً محسوساً، أي: ملموساً، لتشبيهه بشيء محسوس آخر، كقوله تعالى: (إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) [الذاريات: 41]. فالمستعار منه هو (المرأة التي لا تنجب)، والمستعار له هو (الريح)، وكلاهما محسوس.

10- استعارة معقول لمعقول

وهي أن تستعير شيئاً معقولاً أي: غير ملموس، لتشبيهه بشيء معقول آخر، كقوله تعالى: (مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) [يس: 52]. فالمستعار منه هو (الرقاد)، والمستعار له هو (الموت)، وكلاهما معقول.

11- استعارة محسوس لمعقول

وهي أن تستعير شيئاً محسوساً، أي: ملموساً، لتشبيهه بشيء معقول، كقوله تعالى: (فَاصْبِرْ بِمَا تُوْمَرُ) [الحجر: 94]. فالمستعار منه هو (صديق الزجاجة)، أي: كسرهما، وهو محسوس، والمستعار له هو (تبليغ الرسالة)، وهو معقول.

12- استعارة معقول لمحسوس

وهي أن تستعير شيئاً معقولاً، أي: غير ملموس، لتشبيهه بشيء محسوس؛ كقوله تعالى: (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) [محمد: 4]. فالمستعار منه هو (الوضع والوزر)، أي: الجمل الثقيل، وهو أمر معقول، والمستعار له هو (الحرب)، وهو محسوس. ومعنى "وضعت الحرب أوزارها" أي: انقضت لأن أهلها يضعون أسلحتهم حينئذ.

13- الاستعارة الأصلية

وهي التي يكون اللفظ المستعار فيها متعلقاً بأسماء الأجناس، وهي الأسماء الجامدة غير المشتقة. مثل: "ظهر الصبح في مفرقي". فاللفظ المستعار منه هو (الصبح)، وهو اسم جنس استعير للشيب. والمراد به: ظهر الشيب في رأسي كما يظهر ضوء الصبح في الأفق.

14- الاستعارة التبعية

وهي عكس الاستعارة الأصلية، حيث يكون اللفظ المستعار فيها فعلاً أو حرفاً أو اسماً مشتقاً. ومثله فعلاً: "تُخبرني حالك بأنك غائب عليّ"، فاللفظ المستعار (تُخبرني) فعل؛ والحال لا تحدث كي (تُخبرني)؛ ومثله حرفاً قوله تعالى حكايةً عن قول فرعون للسحرة المؤمنين بموسى: (وَأَصْلِبْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ) [طه: 71]. فاللفظ المستعار هو (في)، استعير للحرف (على)، وهذا مبالغه في تصوير المعنى، وهو أن فرعون اشتد غيظه حتى توعدهم بصلبهم (في) جدوع النخل، وليس (عليها)؛ ومثله اسماً مشتقاً قوله تعالى: (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) [الإسراء: 12]. فاللفظ المستعار (مبصرة)، بمعنى (مضيئة)، هو اسم فاعل مشتق.

15- الاستعارة المطلقة

وهي التي لا يذكر فيها معها ما يلائم المستعار منه والمستعار له، مثل: "نطق الخطيبُ بالذُّرر". فالمستعار منه هو (الذرر)، والمستعار له هو (الحكم)، والجامع بينهما هو (غلاء القيمة وعلو الشأن). وهي استعارة لم تقترن بما يلائم (الذرر)، ولا ما يلائم (الحكم).

16- الاستعارة المجردة

وهي التي يُذكر فيها معها ما يلائم المستعار له، مثل: "رأيتُ أسدًا شاكِي السَّلاح". فالمستعار منه هو (الأسد)، والمستعار له هو (الفارس المغوار)، و(شاكِي السلاح)، أي: يشك بسلاحه، شيء يلائم المستعار له وليس المستعار منه. فالأسد لا يحمل سلاحًا ولا يشك عدوه.

17- الاستعارة المرشحة، أو الموشحة، أو الترشيحية

وهي التي يُذكر فيها معها ما يلائم المستعار منه كقوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ بِجَارَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) [البقرة: 16]. أي: اختاروا الضلالة واستبدلوها بالهدى. فالمستعار منه هو (الاشتراء)، والمستعار له هو (الاختيار والاستبدال)، و(الريح) و(التجارة) هما من لوازم (الاشتراء).

18- الاستعارة التمثيلية، أو المركبة، أو المجاز المركب، أو التمثيل على سبيل الاستعارة

وهي ليست لفظاً مستعاراً واحداً، بل تركيب يكون فيه كل من المستعار منه والمستعار له صورة منتزعة من متعدد تصف الحال أو الصفة أو القصة، مثل: "أراك تقدِّم رجلاً وتؤخِّر أخرى"، أي: حالك كحال المتردّد في القيام بأمر ما؛ فهو بين إقدام وإحجام، فتارة يريد الذهاب فيقْدِم رجلاً، وتارة لا يريد فيؤخِّر أخرى.

19- الاستعارة التَّهْكُمِيَّة، أو التَّمْلِيحِيَّة

وهي التي يُؤتى فيها بلفظٍ دالٍ على المدح مكان لفظٍ دالٍ على الذمّ، تهكُّماً بالمخاطب؛ كقوله تعالى حكايةً عن قوم شعيب: (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) [هود: 87] فلفظنا (الحليم) و(الرشيد) لفظتان تدلان على المدح، وقد وضعا مكان لفظتي (السفيه) و(الغوي) اللتين تدلان على الذمّ. والغرض منهما هو التهكم بالمخاطب والاستهزاء به.

20- الاستعارة العلميّة

وهي أسماء الأعلام التي ذاعت بين الناس؛ لأن أصحابها تميّزوا بصفة من الصفات، الحميدة أو القبيحة، مثل السموأل الذي تميز بالوفاء، ومادر الذي تميز بالبخل، وسحبان وائل الذي تميز بالخطابة، وغيرهم. وعد البلاغيون كلام أحد من باب الاستعارة إذا ما قال: "رأيتُ اليوم حاتمًا"، وقصد من كلامه الرجل المتصف بالجود والكرم، وليس حاتماً الطائي، الرجل الذي عاش في الزمان الغابرة.

وخلاصة القول، فإن الاستعارة في العربية قد قُسمت إلى أقسام دقيقة ومتشابهة حتى إنه يمكن لها أن تكون، مثلاً، أصليةً وتصريحيةً ومرشحةً في الوقت نفسه دون أن يحدث هذا أيّ خللٍ في البناء الاستعاري. ولعل هذا من لَوْنَات الكلام في العربية ولا تجد مثله في اللغة الإنجليزية التي تنجح إلى تقسيم الاستعارة بطريقة مغايرة.

المبحث الثالث: تعريف الاستعارة الإنجليزية

تأتي نظرة البلاغيين الإنجليز إلى الاستعارة وتعريفهم لها، علمًا بأنها غزيرة الورد والتناول في اللغة الإنجليزية.

- تعريف الاستعارة الإنجليزية لغةً

تجمع قواميس اللغة الإنجليزية على أن كلمة (metaphor) قد مرّت بلغات عدّة حتى تصل إلى اللغة الإنجليزية وبالرسم الذي كان عليها اليوم. فقد دخلت هذه الكلمة إلى اللغة الإنجليزية عن طريق اللغة الفرنسية بلفظة (metaphore)، ودخلت اللغة الفرنسية سنة 1265 عن طريق اللغة اللاتينية بلفظة (metaphora) التي دخلتها عن طريق اللغة الإغريقية بلفظة (metapherein). وهي تتركب من: meta وتعني: (ما وراء)، أو (ما بعد)، و: pherein وتعني: نقل الشيء أو حمله من موضع إلى آخر. فهي إذاً نقل بالمعنى المحسوس ونقل بالمعنى المجرد¹⁵.

- تعريف الاستعارة الإنجليزية اصطلاحاً

تشعّب تعريفات الاستعارة الإنجليزية وتختلف من مدرسة لغوية إلى أخرى، ومن لغوي إلى آخر، ومنها ما ذكرت أنتونيا ألفاريز (Antonia Alvarez) أن اللسانية الإنجليزية بروك روز (Brooke-Rose) عرّفت الاستعارة بأنها¹⁶:

“Any identification of one thing with another, any replacement of the more usual word or phrase by another”.

أي هي: “أي تماثل بين شيء وآخر، أي استبدال للكلمة أو التعبير الأكثر اعتياداً بكلمة أو بتعبير”.

وتريد بروك روز من هذا أن الاستعارة هي خروج من استعمال الألفاظ والتعبيرات الاعتيادية التي درجت عليها الألسنة وألفتها إلى غير استعمال الألفاظ والتعبيرات غير الاعتيادية بغرض التعبير عن فكرة ما، وهذا مع وجوب وجود مماثلة بين اللفظة والتعبير وبين ما ينوب عن هذه أو ذاك. وكذلك ذكرت ألفاريز أن مناجيم داجوت (Manachheim Dagut) في تعريفه للاستعارة عبر مثل ذلك فقال¹⁷:

“An individual creative flash of imagination fusing disparate categories of experience in a powerfully semantic anomaly”.

أي هي: “ومضة خيالٍ فردية، ابتداعية تصهر أصناف تجارب متفرقة لتجعل منها كياناً قوياً الدلالة خارجاً عن القياس”.

وجاء في ترجمة حسن غزالة لكتاب بيتر نيومارك (Peter Newmark) بعنوان: “A Textbook of Translation” أن الاستعارة هي: “أي تعبير مجازي: المعنى المحول للكلمة محسوسة... وتشخيص المجرد... وتطبيق معنى كلمة أو تلازم لفظي على ما لا يشير إليه حرفية، أي وصف شيء بشيء آخر... وقد تكون الاستعارات “أحادية” أي كلمة واحدة – أو “امتدادية” (تلازم لفظي، أو مصطلح، أو جملة، أو مثل، أو مجاز، أو نص خيالي كامل)¹⁸.”

ويتضح من هذه التعريفات كلها مدى اتساع رقعة الاستعارة في الإنجليزية. فهي تشابه وتماثل بين شيئين؛ وهي وصف لشيء بمزايا غيره؛ وهي خروج عن الاستعمال الاعتيادي للغة، وخروج عن القياس؛ وهي تارة كلمة وحدة، أو مجموعة من الكلمات؛ وهي تارة أخرى جملة أو حتى نص كامل.

المبحث الثالث: أركان الاستعارة الإنجليزية

قد اختلف البلاغيون في اللغة الإنجليزية كثيراً في تحديد أركانها. فمنهم من يعتبرها اثنين، مثل: ماكس بلاك (Max Black)، وبيكمان وكالو (Beekman and Callow)، ومنهم من يعتبرها ثلاثة، مثل: ريتشاردز (Richards)، ومنهم حتى من يعتبرها أربعة، مثل: بيتر نيومارك.

فماكس بلاك يرى أن الاستعارة ليست لفظاً واحداً بل هي الجملة بأكملها¹⁹. وهي تتكوّن من ركنين اثنين: The Frame أي: الإطار، وهو السياق الذي وردت فيه الاستعارة؛ و The Focus أي: البؤرة، وهو الكلمة المستعملة استعارياً، أي: اللفظ المستعار. ومثال ذلك: “The ship ploughs the”

”sea أي: تحرت السفينة البحر. فالإطار هو الجملة بأكملها، والبؤرة هو لفظة ‘ploughs’ أي: ”تحرت” المستعملة في الجملة استعارياً. وأنى للسفينة أن تحرت البحر!

ويرى بيكمان وكالو أن للاستعارة ركنين اثنين أيضاً²⁰: أولهما: The Topic أي: الموضوع، وهو العنصر الذي تصفه الاستعارة، أي: المستعار له؛ وثانيهما: The Point of Similarity أي نقطة التشابه، وهو نقطة التشابه بين الموضوع والكلمة المستعملة استعارياً، أي: الجامع. ومثال ذلك: ‘He has a heart of stone’ أي: له قلب من حجر. فالموضوع هو بلفظة stone أي: ”حجر”، هو ”القسوة”. والمقصود هنا: له قلب قاس كالحجر.

وجعل ريتشاردز للاستعارة ثلاثة أركان²¹: فالأول هو The Tenor أي: الفحوى، وهو العنصر الذي تصفه الاستعارة، أي: المستعار له؛ والثاني هو The Vehicle أي: الناقل أو حامل المشبه، وهو اللفظ المستعار؛ والثالث: هو The Ground أي: الأرضية، وهو كما يدل عليه اسمه أرضية التشابه بين العنصر الموصوف والناقل أو حامل المشبه. ومثال ذلك: ‘Eye of a needle’ أي: عين الإبرة. فالفحوى هو الثقب الموجود في الإبرة، أي العين؛ والناقل أو حامل المشبه هو كلمة eye أي: عين الإنسان؛ والأرضية، أي: وجه الشبه بين عين الإبرة وعين الإنسان هو الشكل، كلاهما شبه بيضاوي.

وهما هو نيومارك يجعل للاستعارة أربعة أركان²²، هي: الأول: The Object أي: الموضوع، وهو العنصر الذي تصفه الاستعارة؛ ثانيها: The Image أي: الصورة، وهو العنصر الذي يوصف به الموضوع؛ ثالثها: The Sense أي: المعنى، وهو ما يُظهر أوجه الشبه بين الموضوع والصورة؛ ورابعها: The Metaphor أي: الاستعارة. ومثاله هو: ‘A Sunny smile’ أي: ابتسامة مُشرقة. فالموضوع هو كلمة smile أي ابتسامة؛ والصورة هو كلمة sun أي: شمس؛ والمعنى قد يكون ‘cheerful, happy, warm’ أي: على التوالي: دافئ، سعيد، مرح؛ والاستعارة هو كلمة sunny أي: مشمس ومشرق.

والملاحظ في الأركان التي وضعها نيومارك للاستعارة في اللغة الإنجليزية أنها توازي أركان الاستعارة في اللغة العربية. فالموضوع هو بمنزلة المستعار له، والصورة هو بمنزلة المستعار منه، والمعنى هو بمنزلة الجامع، والاستعارة هو بمنزلة اللفظ المستعار.

المبحث الرابع: أقسام الاستعارة الإنجليزية

تضاربت الأقوال حول أقسام الاستعارة في الإنجليزية، كما تضاربت في اللغة العربية، وهي على العموم ثلاثة أضرب تختلف باختلاف المدارس اللغوية والبلاغية التي تنتهي إليها. فالضرب الأول تُقسّم فيه الاستعارة من حيث فعلها؛ والضرب الثاني تُقسّم فيه الاستعارة من حيث درجة تداولها واستعمالها؛ والضرب الثالث تُقسّم فيه الاستعارة من حيث المفاهيم التي يُصَبّ فيها الكلام تبعاً للتجربة الشخصية أو تجربة المجتمع ككل.

أ – أقسام الاستعارة من حيث فعلها

تقود هذا الضرب من الاستعارة المدارس اللغوية البلاغية الإنجليزية الكلاسيكية، وأكثر أقسامه شيوعاً الأقسام الأربعة:

1 – Personifying Metaphors (الاستعارة الشخصية)

وتسمى أيضاً Anthropomorphic Metaphor أي: استعارات التشبيه الإنساني، وهي تلك التي تضيف صفات بشرية على ما هو غير بشري، مثل: ‘My car whiles in pain as it climbs up steep hills’²³ أي: تنّ سيارتي ألماً عند صعودها الهضاب الشاهقة. ففي هذا المثال شبه السيارة بالإنسان وجعل لها جسد يحس وفم يُصدر أنيناً من شدة الألم، وهذه كلها من صفات بني بشر.

2 – Concretizing Metaphors (الاستعارات المتماسكة)

وتسمى أيضاً Refectory Metaphors (الاستعارات المجسّدة)، وهي تلك التي تجسّد المجرد، فتضيف صفات مادية ‘concrete’ على ما هو مجرد وغير مادي abstract. مثال ذلك: ‘A fat account’²⁴ أي: رصيد مالي سمين. [حرفياً]. والمقصود منه هو رصيد مالي كبير؛ ففي هذا المثال جعل ”الرصيد المالي” account، وهو شيء مجرد وغير مادي، ”سميناً” fat. وهذه صفة مادية.

3 – Animating Metaphors (الاستعارات الإحيائية)

وهي تلك التي تضيف روحاً وحساً وحياءً على الطبيعة أو الظواهر الطبيعية. مثال ذلك: 'An angry sky'²⁵ أي: سماء غاضبة. وهو بمعنى مُكفَّهَة، تنبئ بعاصفة. ففي هذه الاستعارة زُرعت الحياة في السماءsky وجُعِل لها نفس غاضبةangry؛ والغضب من صفات الكائن الحي.

4-Synesthetic Metaphors (استعارات تراسل الحواس)

وهي تلك التي تُوصَف فيها مفاهيم تخص حاسة معينة (الذوق، الشم، البصر، السمع، اللمس) بألفاظ خاصة بحاسة أخرى كوصف اللون الأحمرred بأنه دافئwarm، واللون الأزرقblue بأنه باردcold. فالدفء والبرودة خاصان بحاسة اللمس وليسوا خاصين بحاسة البصر. أو مثل: 'A loud colour'²⁶ أي: لون صاخب أو صاخب. فكلمةloudصفة للصوت المرتفع. فهي إذاً خاصة بحاسة السمع وليس بحاسة البصر.

ب - أقسام الاستعارة من حيث تداولها

وَمُتَرَعِّمُو الضرب الثاني هم البلاغيون والأدباء، أمثال: جوزيف شيبلي (Joseph Shipley)، وبيريلمان (Perelman)، وإيليز صومر (Elyse Sommer)، ودوري وايس (Dorie Weiss)، وكريستين مايسون (Kirsten Mason)، ونيومارك، حيث إن الضرب من الاستعارات يُقسَّم من حيث استعماله وتداوله في الكلام. وهو خاضع لعامل الزمن ويتميز بالحركية إذ بين الحين والآخر يضاف له قسم جديد حتى إنه ليكاد كل بلاغي يحدث تسميات جديدة للاستعارة تميزها عن غيرها من الاستعارات. ومن أكثر أقسامه شيوعاً ما يلي:

1-Absolute Metaphors (الاستعارات المطلقة)

وتسمى أيضاًParalogical Metaphors (الاستعارات المجانبية للمنطق)، وAnti-metaphors (الاستعارات المضادة أو الللاستعارات). وهي تلك التي لا يوجد فيها وجه شبه ظاهر، ممكن الإدراك بين المستعار منه والمستعار له، مثل: 'We are the eyelids of defeated caves'²⁷ أي: نحن أجفان مغارات مهزومة. لماذا شُهِبْنَا بالأجفانeyelids؟ وكيف هي المغارات المهزومةdefeated caves؟ وأين وجه الشبه بين المستعار له "الأجفان" والمستعار منه "المغارات المهزومة"؟

2-Active Metaphors (الاستعارة النشطة)

وتسمى أيضاًLive Metaphors (الاستعارات الحية). وهي تلك الاستعارات الجديدة التي لم تصبح بعد جزءاً من الاستعمال اليومي للغة، مثل: 'You are my sun'²⁸ أي: أنت شمسي. حيث شُبه المحبوب بالشمسsun، لأنه يمثل إشراقه في الحياة ويزود الطرف الآخر بالدفء والحرارة.

3-Cliché Metaphors (الاستعارات المبتذلة)

وهي تلك الاستعارات التي أصبحت آلية في اللغة كالأمثال والتعابير الاصطلاحية. وهي في مرتبة بينَ بينَ من الاستعارات المندثرة والاستعارات المعيارية. ويقسمه نيومارك إلى فرعين من المتلازمات اللفظيةcollocations. والفرع الأول يتكون من صفة ذات معنى مجازيfigurative adjective، واسم ذي معنى حرفيliteral noun، مثل: 'Filthy lucre'²⁹ أي: مال قذر. فكلمةlucreأي: مال، اسم ورد بمعناه الحرفي. وكلمةfilthyأي: قذر، صفة وردت بمعنى مجازي. وليس المقصود من هذا المال المتسخ على وجه الحقيقة، وإنما المقصود منه المال المحصّل عليه بطرق ملتوية غير شريفة، أي: الكسب غير المشروع. وقد يطلق على هذا الفرع تسميةSimplex Metaphor أي: استعارة مبسطة. والفرع الثاني يتكوّن من فعل ذي معنى مجازيfigurative verb واسم ذي معنى مجازيfigurative noun، مثل: 'Explore all avenues'³⁰ أي: تقصّي كل السبل. فكلمةexploreأي تقصّي، فعل ورد بمعناه المجازي؛ وكلمةavenuesأي سبل، اسم ورد بمعناه المجازي، والمقصود من هذا هو استنفاد كل الطرق من أجل هدف معيّن. وقد أطلق على هذا الفرع تسميةComplex Metaphor أي: استعارة معقّدة.

4-Complex Metaphor(الاستعارة المعقدة)

وهي تلك التي تمنح تماثلاً فوق آخر، مثال ذلك: "That throws some light on the question"³¹ أي: ذاك يلقي بعض الضوء على المسألة. فالقاء بعض الضوء "throws some light" استعارة لأن الضوء لا يُلقى، بل يسلط على الشيء، ومُنح مع استعارة أخرى هي light ضوء؛ لأنه ليس هناك في الواقع ضوء، بل هو "ضوء" يرمز إلى التفسير أو الشرح أو غير ذلك.

5-Compound Metaphors(الاستعارة المركبة)

وتسمى أيضاً Loose Metaphors (الاستعارات المفككة). وهي تلك الاستعارات التي تشدّ الانتباه لكثرة وجوه الشبه فيها بين المستعار منه والمستعار له، مثال ذلك في وصف العداء: "He has the wild stag's foot"³² أي: له قدم الأيل الوحشي. فأوجه الشبه بين المستعار له (العداء) runner والمستعار منه (الأيل الوحشي) wild stag كثيرة هي: الرشاقة وسرعة العدو والإقدام.

6-Dead Metaphors (الاستعارة المندثرة)

وتسمى أيضاً Frozen Metaphors (الاستعارات الجامدة)، و Fossilized Metaphors (الاستعارات المتحجرة)، و Lexicalized Metaphors (الاستعارات المَقْوَمَة). وهي في الأصل ألفاظ استعملت كاستعارات ثم اندثر معناها الحرفي وتجدرت في اللغة وجرت على الألسنة وفقدت كل ميزاتها الفنية واندمجت في اللغة حتى إن تمييزها يصعب إلا بطول نظر. ويقسمها نيومارك هذا النوع من الاستعارة إلى فرعين: الفرع الأول يسمى بـ Opaque Dead Metaphors أي الاستعارات المندثرة المعتمة، وهي التي ذات أصول أجنبية، مثل الفعل consider أي: أتمعن وتفحص وتأمل ودقق النظر. وهو في الأصل لفظ دخل على اللغة الإنجليزية مستعار من اللغة اللاتينية considerare ومعناه: نظر إلى النجوم. والفرع الثاني يسمى بـ Transparent Dead Metaphors أي: الاستعارات المندثرة الشفافية، كالمجاز المرسل Metonym، الذي تجده في التكنولوجيا الخاصة بالدرجات، أمثال الألفاظ التالية: Fin, frame, skirt, worm, collar, nut, cradle³³ أي: زعنفة، هيكل، جذع، مسننة دودية، طوق، صمولة، مهد دراجة. ونجد هذا الفرع أيضاً في الألفاظ غير التقنية التي لها معانٍ حقيقية ومجازية، أمثال: head, foot, arm, eye أي: رأس، قدم، ذراع، عين. فلفظة head رأس، لها معنى حقيقي هو رأس الإنسان كما لها معنى مجازي كقولك: "The head of a hammer, The head of a nail"³⁴ أي: رأس المطرقة، رأس المسمار.

7-Dormant Metaphors (الاستعارة الخاملة)

وهي التي فقدت علاقتها بالفكرة الأصلية التي كانت تعبّر عنها وتدل عليها، وهي في مرتبة وسطى بين الاستعارات المندثرة والاستعارات الحية، نستعملها في الحديث اليومي ولو دققنا النظر فيها وجدنا لها معنى استعارياً غير المعنى الحرفي الذي تدل عليه، مثال ذلك: "He was fuming with anger"³⁵ أي حرفياً: لقد كان يذخن غضباً! والمقصود بذلك: لقد استشاط غضباً! حيث يوجي إلى الدخان والبخار أي الغليان من النار.

8-Extended Metaphors (الاستعارة الممددة)

وهي التي تجعل فيها موضوعاً واحداً محورياً وتضيف له موضوعات أو تشبيهات فرعية متعددة، مثل وصف الرئيس ليندون جونسون Lyndon Johnson للولايات المتحدة الأمريكية بقوله: "The uncrossed desert and the unclimbed ridge... the star that is not reached and the harvest that's sleeping in the unplowed ground"³⁶ أي: هي الصحراء التي لم يعبرها أحد وهي الجبال الشاهق الذي لم يتسلقه أحد... هي النجمة التي لم يبلغ إليها أحد وهي الحصاد الذي ينام في الأرض غير المحروثة. فالولايات المتحدة هي الموضوع المحوري في هذه الاستعارات كلها وقد وصفها بتشبيهات عدة.

9-Implicit Metaphors (الاستعارة الضمنية)

وهي التي يكون المستعار له فيها غير مصرح به، بل يفهم ضمناً، مثل: "I am burning"³⁷ أي: أنا أحترق. فالمستعار له المفهوم ضمناً هو الهوى passion. وتقدير الكلام: الهوى يحترق بداخلي أو أنا أحترق هوى.

10-Mixed Metaphors(الاستعارات المختلطة)

وهي التي عادة تركيب ترد فيه استعارتان أكثر وتكون ذات ترابط غير منطقي. ومثال ذلك: "Put the ship of state on its feet"³⁸ أي: وضع سفينة الدولة على قدميها. حيث شُهِت الدولة بالسفينة ship، وشُهِت السفينة بإنسان بـ قدمين feet. والربط بين الاستعارتين غير منطقي؛ إذ السفينة تبحر ولا تقف على قدمين.

11-Original Metaphors(الاستعارات الأصلية)

وتسمى أيضاً (Creative Metaphors) الاستعارات المبتكرة). وهي تلك الاستعارات الشعرية التي استحدثت لمناسبة معينة أو لتعبير خاص كتلك التي نجدها في مؤلفات كبار الأدباء، كالمثال الذي ذكره حسن غزالة عن نيومارك، وهو ما جاء على لسان الأديبة إيفلين ولو Evelyn Waugh في قولها: "Oxford, a place in Lyonesse!"³⁹ أي: أوكسفورد، مكان في ليونيس الأسطورية. وهي تعني: التائهة في أساطير منطقة مخيفة نائية.

12-Recent Metaphors(الاستعارة الحديثة)

وهي تلك الاستعارات التي لم ترد في كلام الأولين في الماضي كتلك التي نجدها في الألفاظ العلمية الحديثة، حيث نجد في مجال الإعلام الآلي، على سبيل المثال: "The mouse of the computer"⁴⁰ أي: فأرة الكمبيوتر (أو الماوس)، و "The brain of computer"⁴¹ أي: عقل الكمبيوتر. فالفأرة mouse هنا آلة وليست حيواناً، والعقل brain كذلك جهاز وليس عضو التفكير لدى الإنسان. فالجامع بين الفأرة الآلة والفأرة الحيوان هو الشكل؛ والجامع بين العقل-الجهاز والعقل-العضو هو الوظيفة.

13-Root Metaphors(الاستعارة المتأصلة)

وهي تلك الاستعارات الممتدة جذورها عميقاً في الفكر الإنساني ولا يحدد مفهومها الاستعاري إلا الخلفية الثقافية للمتلقى، مثل: The thread/The cord⁴¹ أي: الخيط/الحبل. فهتان الكلمتان بالنسبة إلى المتلقي العربي لا تحملان خلفية ثقافية ما، غير أنهما بالنسبة للمتلقى الغربي توحيان إلى دلالة قديمة في الميثولوجيا الإغريقية واللاتينية وهي حياة الإنسان. وأصل الأسطورة أن ثلاث أخوات غزالات يتحكمن في خيط/حبل كل إنسان؛ وهن: كلوتو Clotho التي تمدّ الصوف وتغزله خيطاً يمثل قدر الإنسان؛ ولاكيسيس Lachesis التي تقتل المغزل وتلفّ خيط الوجود؛ وأتروپوس Atropos التي تُحدد ميعاد الموت وتقطع الخيط⁴².

14-Simple Metaphors(الاستعارات البسيطة)

وتسمى أيضاً Tight Metaphors (الاستعارات الملتزمة)، وهي التي يكون فيها وجه شبه واحد فقط بين المستعار له والمستعار منه، مثل: "Cool it"⁴³ أي حرفياً: برِّدها. والمقصود لها: اهدأ، برِّد أعصابك! فنحن نتصور إنساناً قد ثارت أعصابه كالبركان ولا يهدأ غضبه إلا البرودة. فوجه الشبه بين المستعار له وهو (الإنسان الثائر غضباً)، والمستعار منه (البركان) هو شدة الحرارة.

15-Standard Metaphors(الاستعارات المعيارية)

وتسمى أيضاً Stock Metaphors (الاستعارات المدولة)، وهي على العكس من الاستعارات المندثرة، استعارات كثيرة الورد في اللغة، ولكنها تتجذر فيها بعدد، مثل: "A ray of hope"⁴⁴ أي: بصيص أمل. حيث شُهِت الحياة التعيسة بالظلام، وشُهِبَ الأمل hope فيها بالشمس يُصدر أشعة منيرة.

16-Submerged Metaphors(الاستعارات المغمورة)

وهي تلك الاستعارات التي يكون فيها المستعار منه غير مصرح به، بل يُفهم ضمناً أو يشار إليه بشيء من لوازمه، مثل: "My winged thought"⁴⁵ أي: فكري المجنح. فعلى المستمع أو القارئ أن يستحضر صورة الطير؛ لأنه هو المستعار منه. فالفكر عندما يطير بنا في شتى مجالات المعرفة يُشبه بطائر يضرب بجناحيه هنا وهناك.

وهذا الضرب الثالث من الاستعارات وراءه علماء اللسان جورج لاكوف George Lakoff، ومارك جونسون Mark Johnson، ومارك تارنر Mark Turner، ومايكل رادي Michael Reddy، الذين قاموا بدراسة الاستعارة دراسة دقيقة متأنية. حيث أكد لاكوف وجونسون أن الاستعارة في الأصل: "هي عملية ذهنية وليست لغوية، وأن ما اصطلح عليه تقليدياً بكونه استعارة ليس إلا تجلياً للاستعارة الذهنية أو تعبيراً عنها"⁴⁶. وقد أطلقا عليها تسمية The Conceptual Metaphor أي: الاستعارة المفهومية. وهي استعارات تستند إلى التجربة الفردية والنظرة الخاصة إلى العالم المحيط بنا وتصبّ البناء الاستعاري على اختلاف أنواعه في قوالب مفهومية لا تعد ولا تحصى. هي استعارات مفهومية تصورية لا نشعر بها، ولكننا، على حدّ تعبيرها، نُحيا بها. وتوصلاً إلى أن أقسام هذه الاستعارات ثلاثة تنضوي تحتها كل أقسام الاستعارات المفهومية المستعملة في اللغة الإنجليزية، وهي:

1- Structural Metaphors (الاستعارات البنائية)

وهو إحلال تجربة ما في بنية، أو قلّ في مجال تجربة أخرى، وهذا قالب مفهومي معيّن، كما في مفهوم: "Argument is war" أي: الجدل حرب، حيث أحلنا "الجدال" في مجال "الحرب". ووجه الشبه بينهما أنه يحتدم النقاش بين شخصين في قضية ما، فيختلفان فيها، فيدافع كل منهما عن وجهة نظره، ثم ينتهيان بانصار أو هزيمة، أو ينتهيان بهدنة. وهذا كله مجال حرب. وفي الحديث اليومي المستعمل في الجدل يورد جورج لاكوف ومارك جونسون الأمثلة التالية: "I demolished his argument" أي: لقد قوّضت حجته؛ و "Your claims are indefensible" أي: ادّعاءاتك لا يمكن الدفاع عنها؛ و "He attacked every weak point of my argument"⁴⁷ أي: لقد هاجم كل نقطة ضعيفة في حجتي. ففي هذه الأمثلة استُعيرت تراكيب مستعملة في المجال الحربي، وهي: الفعل: demolish أي: قوّض، والصفة: indefensible أي لا يمكن الدفاع عنها، والفعل: attacked أي: هاجم، ووُضعت محل تراكيب أخرى قد تكون مثلاً، الفعل: refuted بمعنى: دحضت وفندت؛ والصفة: indefensible بمعنى متعذر تبريره؛ والفعل: reproached بمعنى: لوم أو الفعل: criticized بمعنى: انتقد.

2- Orientational Metaphors (الاستعارات الاتجاهية)

وهو الاستعمال الاستعاري للفظ ما مع دلالة مفهومها المكان (spatialization) والتوجه (directionality)، حيث ينظّم هذا النوع من الاستعارات المفاهيم الكثيرة، الواحد مع الآخر، في قالب مفهومي يدلّ على المكان، كما في الأمثلة التالية: "Try to pack more words into fewer words" أي: حاول أن تحشر معاني كلمات أكثر في كلمات أقل؛ و "Don't force your meanings into the wrong words" أي: لا تحصر معانيك في الكلمات الخاطئة؛ و "Can you extract coherent ideas from that prose?"⁴⁸ أي: هل يمكنك استخراج أفكار متماسكة من تلك القطعة النثرية؟ فهذه الأمثلة استعملت الألفاظ: pack into أي: كدّس أو حشر في مكان ما، و force into أي: حصر وأدخل قسراً وعنوة في مكان ما، و extract from أي: اقلع واستخرج من مكان ما. وهي كلها ألفاظ خاصة بالمكان وبالتوجه استُعيرت هاهنا في تعابير لسانية مجردة لا علاقة لها بالمكان البتّة. وهذه الألفاظ كلها تندرج ضمن الإطار المفهومي (Linguistic Expressions are Containers) أي: التعابير اللسانية حاويات.

3- Ontological Metaphors (الاستعارات الكينونية)

وهو الاستعمال الاستعاري للألفاظ الدالة على المجرد وغير المحسوس كالأحداث والنشاطات الفكرية والأحاسيس والأفكار والنظر إليها على اعتبار أنها كيانات entities وأشياء مادية محسوسة concrete، وذلك بغية جعلها ملموسة أكثر بالنسبة إلى العقل البشري، كما في المثال التالي: "We need to combat inflation"⁴⁹ أي: ينبغي علينا مكافحة التضخم. حيث اعتبر التضخم هائنا، وهو حدث غير محسوس، كياناً قائماً بذاته تجب علينا مكافحته.

وفي آخر المطاف، وبكل ما سبق ذكره من الاستعارة في اللغتين العربية والإنجليزية، نستطيع أن ندرك أن كلا اللغتين ليست بعيدة إحداها عن الآخر، وأنها تشتركان وتتوافقان في مناح كثيرة. فهما تعتبران التشبيه والتماثل ركيزة في الاستعارة، وأن حسنها يكون في الابتعاد عنهما، وأن الاستعارة عملية استبدال لغوية نضع فيها عنصراً لغوياً مكان عنصر لغوي آخر، وأن لكليهما أركاناً متشابهة وأقساماً متقاربة.

وسنورد هنا بعض الاستعارات العربية والإنجليزية توضيحاً لبعض ما مررنا به من أقسام الاستعارة. وعلى سبيل المثال نقول: "احذر سيفاً بين فكّيك"⁵⁰ (Beware of the sword between your two jaws)؛ فقد شُبه اللسان بالسيف (المستعار منه): لكثرة زلّته وهفوته، وحذف المشبه اللسان (المستعار له)، ودُكر مع ذلك قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وهي (بين فكّيك)؛ لأن السيف لا يأمن أن يكون بينهما، على سبيل الاستعارة

المصرحة. ونستطيع أن نطلق لهذه الاستعارة تسمية 'Explicit Metaphor' في اللغة الإنجليزية، ومثالها: "I could eat a horse"⁵¹، أي حرفياً: أستطيع أكل الحصان؛ وأما التفسير الاستعاري هنا هو: I am very hungry، أي: أنا أشعر بالجوع الشديد. فالمستعار منه مذكور هو (أكل الحصان) 'eat a horse'، والمستعار له محذوف، هو (الجوع الشديد) 'very hungry'، على سبيل الاستعارة التصريحية (Explicit Metaphor).

واليك قول الله تعالى: (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) [الإسراء: 24] "And, out of kindness, low to them wing of [Q17: 24] humility؛ ولما أمر الله تعالى الولد بأن يلين جانبه، ويتواضع لوالديه، استعار لفظة "جناح"، فشبه الذل والخضوع بطائر بجامع الخضوع، واستعير الطائر بالذل، ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الجناح، على طريق الاستعارة بالكناية؛ ويطلق على هذه الاستعارة في اللغة الإنجليزية تسمية 'Implicit Metaphor'؛ ومثالها: "A woman barked a warning at her child" أي: نَهَتْ امرأةً تحذيراً على طفلها؛ والتفسير الاستعاري هنا هو: صاحت امرأة تحذيراً على طفلها؛ ليرعى عما يفعله. فالمستعار منه هنا محذوف، وهو (كلب) a dog، ورمز إليه بشيء من لوازمه هو (نباح)، والمستعار له هو (الصياح) shouting، على سبيل الاستعارة المكنية (Implicit Metaphor).

وتقول العرب: "لا تَنْثُرِ الدُّرَّ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ"⁵² (Do not disperse pearls in front of the pigs)؛ ففي هذه الاستعارة يكون المستعار منه والمستعار له صورة منتزعة من متعدد تصف الحال التي هي: نثر الدرّ أمام الخنازير، فنثره هنا أمامها لا يجدي نفعاً؛ كحال الرجل الذي يُلقى إليه كلمة طيبة؛ ولكنه لا يستطيع أن ينتفع بها! فهذه الاستعارة يطلق عليها اسم الاستعارة التمثيلية التي تسمى باللغة الإنجليزية بـ 'Proverbial Metaphor' أو 'Cliché Metaphor' أو 'Simplex Metaphor'. ومثالها: "He has to bite the bullet before he becomes successful"⁵³ أي: لا بد له أن يعضّ الرصاصة قبل أن يكون ناجحاً. ففي المثال استعارة يكون المستعار منه والمستعار له صورة منتزعة من متعدد تصف الحال هي: عض الرصاصة 'bite the bullet'، فبعبارة: عض الرصاصة توحى بمجابهة الشدائد في الأحوال، على سبيل الاستعارة التمثيلية (Proverbial Metaphor).

وإذا ذكر ما يلائم المستعار له، مثل: "قَطَعَ وَزِيرُ الدَّاخِلِيَّةِ رَأْسَ الْحَيَّةِ الْكَبْرَى الَّتِي حَزَبَتْ أَشْرَارَ النَّاسِ..."⁵⁴ (The Interior Minister had cut off the head of snake that gathered malicious people) فالاستعارة مجردة، وهي التي تسمى باللغة الإنجليزية 'Pure Metaphor'. فالمستعار منه هو (رأس الحية)، والمستعار له هو (رئيس حزب الشر والفساد)، و(حزبت أشرار الناس)، أي: قَوَّاهم (رئيس حزب الشر) وجعلهم أحزاباً، هو ما يلائم المستعار له، فقد ذكر شيء يلائم المستعار له وليس المستعار منه؛ لأن الحية لا تحزب. ومثالها في الإنجليزية: "A case of rats leaving the sinking ship"⁵⁵ أي: قضية الفيران تترك السفينة الغارقة، والتفسير الاستعاري هو: أن يُتْرَك تاجر مشروعاً ظنّ فيه خسارة كبيرة. فالمستعار منه مذكور، هو (الفيران) rats، والمستعار له محذوف هو (التاجر التارك المشروع غير الراجح)، و(ترك السفينة الغارقة) leaving the sinking ship شيء يلائم المستعار له؛ على سبيل الاستعارة المجردة (Pure Metaphor). ولا يسع لنا المجال، في هذا المقام الضيق، أن نستنفذ النماذج للاستعارات العربية والإنجليزية؛ فلا بد لنا أن نستغني بما حصلنا عليه في هذه الدراسة.

الخاتمة

يتّضح للقارئ من خلال المراحل التي مرّ بها في هذه الدراسة أن للاستعارة مرتبةً رفيعةً مرموقةً في اللغتين العربية والإنجليزية، وأنها تُضفي على النصّ، مهما كان، سماتٍ من الحسن والرونق والبيان؛ حتى تجد عين القارئ ترنو إليه بنشوة ولذة؛ كما تعرّف القارئ بشكلٍ مجملٍ على الاستعارة في اللغة العربية واللغة الإنجليزية بكلّ جوانبها اللغوية والثقافية. وقد توصّل البحث إلى نتائج، أهمها ما يلي:

- 1- أن هناك الاشتراك والتوافق بالنسبة للاستعارة بين اللغتين العربية والإنجليزية، وإن كان كلّ يعمل على شاكلته في المنظور البلاغي المناسب له.
- 2- وأن الاستعارة في اللغتين العربية والإنجليزية تنم عن استعمالٍ راقٍ للغة، وتتعدّى كونها زخرفاً لغوياً فقط، بل إنها تصلّ إلى الاعتزاز بأساليب التعبير عن خبايا النفس.
- 3- وأن التعبير الاستعاري في اللغتين العربية والإنجليزية يزخر بالمجاز عموماً وبلاستعارة خصوصاً، والفارق بينهما هو كميّات تصنيفها وتقسيمها.

- 4- وأن لكل من اللغتين العربيّة والإنجليزيّة ثقافة تضرب في عمق المجتمع، ولكل لغة منهما عبقريّاتها وخصوصيّاتها اللسانيّة والثقافيّة.
- 5- وأنّ الاستعارة في اللغة الإنجليزيّة تعبّر عن الشيء نفسه وعن الفكرة نفسها ولكن بصيغ متباينة ونظرة إليها من زوايا مختلفة، فهي استعارات متداخلة ومندمجة بعضها في بعض، تصف وجهاً واحداً هو التعبير الاستعاري، تارةً تنظر إلى الاستعارة من حيث فعلها، وتارةً أخرى من حيث تداولها، وتارةً ثالثةً من حيث المفهوم الذي تدلّ عليه.

المراجع والهوامش

- 1- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (1414هـ). لسان العرب، (ط3)، بيروت: دار صادر، ج4، ص618.
- 2- الجرجاني، علي بن محمد (1983م). كتاب التعريفات، (ط1)، لبنان: دار الكتب العلمية، ص20.
- 3- الرازي، فخر الدين (1979م). نهاية الإيجاز، عن عيد رجاء، ص111.
- 4- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب (1423هـ). البيان والتبيين، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ج1، ص142.
- 5- ثعلب، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن زيد (1995م). قواعد الشعر، تحقيق: رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، ص53.
- 6- العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم (1423هـ). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (ط1)، بيروت: المكتبة العنصرية، ج1، ص104.
- 7- خوري، رثيف (1954م). الدراسة الأدبية، (ط1)، بيروت: دار العلم للملايين، ص55.
- 8- الجارم، علي وأمين، مصطفى (د.ت). البلاغة الواضحة مع دليلها، بوهان: ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية، ص77.
- 9- خفاجي، عبد المنعم وشرف، عبد العزيز (1992م). البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، بيروت: دار الجيل، ص152.
- 10- الجويني، مصطفى الصاوي (1985م). البلاغة العربية: تأصيل وتجديد، (ط1)، الإسكندرية، منشأة المعارف، ص152.
- 11- عيد، رجاء (1979م). فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، (ط1)، الإسكندرية، منشأة المعارف، ص152.
- 12- العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم (1423هـ). الطراز، المرجع السابق، ج1، ص109.
- 13- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (د.ت). جواهر البلاغة في المعاني والبيان ولبيد، تحقيق: د. يوسف الصميلي، بيروت: المكتبة العصرية، ص260.
- 14- قد استقيننا جميع الأمثلة لشرح أقسام الاستعارة والتمثيل لها من كتب البلاغة العربية القديم منها والحديث، أمثال: "الإيضاح في علوم البلاغة" للقرظيني (2000)، و"أسرار البلاغة، ودلائل الإيجاز" للجرجاني (1981)، و"الطراز" للعلوي (1423)، و"أساس البلاغة" للزمخشري (1998)، و"البلاغة العربية" لعبد المنعم خفاجي (1996)، و"البلاغة العربية" للجويني (1985)، و"فلسفة البلاغة" لرجاء عيد (1979).
- 15- Larisa N. and Fumitaka F. (2013). "Measuring Metaphors: A Factor Analysis of Students' Conceptions of Language Teachers", <https://www.researchgate.net>. P163.
- 16- Brooke-Rose, C. (1965). "A Grammar of Metaphor", in Alvarez, A. (1993). P481.
- 17- Dagut, M. (1982). "More about the Translation of Metaphor", in Alvarez, A. (1993). P480.

19. Alvarez, A. (1982). "On Translating Metaphor", *Meta*, 38:3, p481.
20. Newman, P. (1982). Approaches to Translation, Perbamon Press, Oxford, p85.
21. Newman, P. (1982). Op. Cit., p48; and Alvarez, A. (1982). Op. Cit., p481.
22. Newman, P. (1982). Op. Cit., p85.
23. Georgia University, online: www.icc.gatech.edu/gallery/rhetoric/terms/tropes.html.
24. Procter, P. (ed). (1982). Longman New Universal Dictionary, London, p231.
25. Procter, P. (ed). (1982). Op. Cit., p232.
26. Procter, P. (ed). (1982). Op. Cit., p232.
27. Shipley, online: www.icc.gatech.edu/gallery/rhetoric/terms/tropes.html.
28. Perelman, online: www.icc.gatech.edu/gallery/rhetoric/terms/tropes.html.
29. Newman, P. (1982). Op. Cit., p87.
30. Newman, P. (1982). Op. Cit., p87.
31. Shipley, loc. op. cit.
32. Shipley, loc. op. cit.
33. Newman, P. (1982). Op. Cit., p85-86.
34. Newman, P. (1982). Op. Cit., p85-86.
35. Procter, P. (ed). (1982). Op. Cit., p232.
36. Sommer, E. (1995). Metaphor Dictionary, online: www.icc.gatech.edu/gallery/rhetoric/terms/tropes.html.
37. Victoria University, (1995). 'The UVic Write's Guide', online: www.web.uvic.ca/wguide.html.
38. Procter, P. (ed). (1982). Op. Cit., p

41. Shipley, loc, op. cit.
42. Shipley, loc, op. cit.

43. Shipley, loc. op. cit.
44. Newman, P. (1982). Op. Cit., p85-88.
45. Shipley, loc. op. cit.
- 46- الحرّاصي، عبد الله (1999). "نظرات جديدة في الاستعارة والترجمة"، مجلة نزوى، ع20، ص26.
47. Lakoff, G. and Johnson, M. (1980). Metaphors We Live By, University of Chicago Press, p14.
48. Reddy, M. (1979). "The Conduit Metaphor", in Ortony, A. (ed.), Metaphor and Thought, Cambridge University Press, p286-288.
49. Lakoff, G. and Johnson, M. (1980). Op. Cit., p25.
- 50- المراغي، أحمد بن مصطفى (1984). علوم البلاغة: البيان، المعاني، البديع، بيروت: دار القلم، ص282.
51. N. E. Renton (1992). Metaphorically Speaking: A Dictionary of 3,800 Picturesque Idiomatic Expressions, 1st Warner Books Printing, United States of America, p156.
- 52- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد. أسرار البلاغة، القاهرة: مطبعة المدني، ص119.
53. N. E. Renton (1992). Op. Cit., p345.
- 54- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنكة (1969). البلاغة العربية، دمشق: الدار الشامية، ج2، ص253.
55. N. E. Renton (1992). Op. Cit., p170.